

ترجمة المصطلح السيميائي أصوله وكيفية توظيفه في البحث العلمي . عبد المالك مرتاض .

أنموذجا .

حياة بركاني¹

تاريخ النشر 2016/07/01	تاريخ القبول 2016/06/01	تاريخ الإرسال 2016/05/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص:

لقد أثار موضوع قضية المصطلح الجدل الكبير بين المفكرين والباحثين؛ لكونه موضوع فضفاض وشائك و يسوده الكثير من الغموض، ولما كانت المصطلحات مفاتيح العلوم ، ودونها لا نستطيع الولوج الى أي علم ، و لا معرفة كنهه ولا منطقته، وبما أن البحث العلمي هو هدف وغاية كل باحث أكاديمي ، وهذا يحمل على التّفكير أنه لا بد من الاعتماد على لغة علمية متخصصة في تحريره أي (البحث العلمي) ، ولكون التّرجمة عملية تهتم بعلم (العلامات اللسانية) (SEMIOLOGE) اذ ظهر مصطلح السيميائي في المؤلفات القديمة بكلمة (الكيمياء) وكان في نظر هؤلاء هو علم أقرب لما هو غير حقيقي بالسحر، ولكون مصطلح السيميائي علم يدرس العلامة ومنظوماتها والخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها، وللاعتبار أن المصطلح مترجم ، هذا ما نهدف الى دراسته عند عبد المالك مرتاض وتحديد رأيه في أصول المصطلح؟ وكيفية توظيفه في البحوث العلمية؟ وكذا البحث في حيثيات انتقاله من ثقافة الى أخرى؟ وماهي المتغيرات التي تطرأ عليه؟ او المعوقات التي تقف دونه – أحيانا – للوصول الى الثقافة الأخرى؟ وهل الترجمة المتخصصة تؤثر على هذا العلم كمصطلح مترجم؟ وكيف يتم تطبيقه على النصوص كمنهج اجرائي؟ وما مدى تأثير هذه النصوص على المتلقي بصفة عامة كخطة للبحث .

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، الترجمة المتخصصة ، المصطلح السيميائي

Résumé

Je l'ai soulevé la question de la question du terme une grande controverse entre les penseurs et les chercheurs, pour être un sujet libre et hérissés et dominé beaucoup de mystère, étant donné que la terminologie des clés de la science, et sans laquelle nous ne pouvons pas accéder à toute

¹ - حياة بركاني

connaissance, et je ne sais pas ce qu'il pourrait être et non logique, et que la recherche scientifique est l'objectif de chaque chercheur et très académique, ce qui porte à penser qu'il doit compter sur modifier la langue scientifique spécialisée ANY (recherche scientifique), Et le fait que le processus de traduction concerné par la science des marques de linguistique) SEMIOLOGE à (le terme Alsemiae est apparu dans le mot ancien de la littérature (chimie) et il était dans les yeux est la science plus proche de ce qui est pas le cas de la sorcellerie, et le fait que ce terme scientifique Alsemiae étudier la marque et de ses systèmes et les propriétés qui se caractérisent par la relation de la marque Bmudalloladtha, et considérant que le traducteur terme,

C'est ce que la recherche vise à étudier à Abdul Malik Murtadha et son opinion sur les origines du terme et comment l'employer dans la recherche scientifique? En plus de la recherche sur les raisons de sa transition d'une culture à l'autre? Quelles sont les variables qui l'affectent? Ou les obstacles qui l'empêchent parfois d'atteindre l'autre culture? La traduction spécialisée affecte-t-elle cette science en tant qu'interprète et comment est-elle appliquée aux textes comme approche procédurale? Et la mesure dans laquelle ces textes affectent le destinataire en général en tant que plan de recherche.

Mots-clés: Recherche scientifique, Traduction spécialisée, Semima'i Term,

مقدمة :

لقد شهد الخطاب النقدي في الجزائر خلال العقدين الأخيرين تطورات أحدثت تغيرات جذرية في (بنىات، ونظريات وطرائق التحليل، و كيفية توظيف المصطلح السيميائي)، فكان لذلك انعكاس مباشر على عُدّة الباحث الأكاديمي، الشيء الذي أربك مفاهيمه، و رؤاه النقدية أمام تعدّد المصطلحات، الأمر الذي صعب عليه مهمة انتقاءها وفقاً لما يخدم بحثه، فخلق هذا الاضطراب نوعاً من الغموض والالتباس.

وأمام هذه الفوضى في (المصطلح والمناهج و اللغة) كأدوات يتسلّح بها البحث العلمي ظهر الناقد الفدّ عبد المالك مرتاض على رُكح السّاحة النقدية كأحد أهمّ النّقاد العرب أخذاً على عاتقه مسؤولية اخراج الخطاب النقدي من الدّرس التّقليدي و السّطحي للصّبر أغوار النّصوص بعيداً عن تلك الأحكام الجاهزة والقبليّة، ليكون مرتاض صاحب السّبق والريادة في قراءة النّصوص الابداعية العربيّة بصيغتها التّراثية والحداثيّة متبّعاً تعدّد المناهج الغربيّة وما يكتنفها من خصوصية الاجراء، والاقتراح العملي في مقارنة النصوص، وكل ذلك مردّه التّباين في المناهج التي وُلدت كنتاج ثقافي، و نقدي غايته فكّ شفرات النّصوص وعلى هذا الأساس راح الناقد الجزائري مرتاض ينهل من مناهل عديدة متداخلة الرّؤى والمكونات مستخدماً زخماً من المصطلحات التي تخضع

في أكثرها للعامل الترجمة علّه يُطوّر بها أدواته الاجرائية، فجعل من النقد الجزائري مرآة عاكسة لها بريق على السّاحة النقدية آخذة حيّزا أكبر في المشهد النقدي، ومن خلال هذا اتضح أن مرتاض صاحب كفاءة عالية في الاشتغال على العديد من الحقول المعرفية (كالبنوية والتفكيكية و السيميائية)، ولكون المصطلح السيميائي منهج نقدي يفك شفرات النصوص، و يعمل على تأويلها، و لكون المادة المعرفية مكونة من نصوص منقولة من لغتها الأصلية، ولكون المصطلحات المترجمة جُلّها تُمثل لغة البحث اذ هي مفاتيح لكل العلوم، وأمام هذه المعطيات المتشابكة انبثقت عنها مجموعة من العراقيل التي تظافرت فيما بينها مُحدثة شقوق صارخة في بنية

النقد العربي، مما أدى الى تعقيد الأمور التي حالت دون تحقيق الهدف المنشود من البحث العلمي كونه آلية تسعى لا ثراء الحقل المعرفي.

ومن خلال هذا المشهد الذي رسم السّاحة النقدية برزت أهم الاشكاليات التي أصبحت تنافس الباحث، و أهمها صعوبة ايجاد الكيفية المناسبة لتداول المصطلحات و الأبنية الدلالية، و توظيفها في النصوص، مما دفع بالعديد من الباحثين، والنقاد الى محاولة تأسيس المصطلح و وضعه في مساره النقدي الصحيح.

لكن الواقع يعكس هذا بسبب تضارب الآراء، و تعدّد الرؤى الفكرية مما أحدث اختلاف في المصطلحات التي خلّفت فوضى فكرية، وأدبية راجعة بالأساس الى التبعية الفكرية التي أثمرت من جراء التلاقح بين النقد الغربي، والنقد العربي الذي اتخذ من أدواته عدّة اجرائية له، وكذلك استلهم المفاهيم النقدية الوافدة دفعة واحدة ودون فهم مراحل الحركة النقدية الغربية، ولا مراعاة طبيعة البيئة الثقافية للمصطلح، و تباين المؤلفات من بلد الى آخر كلها أسباب خلقت مشكلة عويصة في ترجمة المصطلح النقدي خصوصا ما بين المشرق العربي القريب ثقافيا و لغويا الى اللغة الانجليزية، وبين المغرب العربي الكبير لميل لسانه للثقافة الفرنسية، هذا ما ولد تداخلا كبيرا في المفاهيم الدلالية للمصطلح الواحد، ووجود مفهوم واحد لعدد من المصطلحات الشيء الذي عتّم الرؤية أمام الباحثين، وفي ظل هذه الضبابية كان الباحث الأكاديمي مجبر على الاجتهاد علّه يهتدي الى لغة بحثية متخصصة علّه يتجاوز من خلالها العقبات التي تعترض سبيله، فراح كل واحد يجتهد حسب طريقته منفردا بمنهجه جاعلا منه مصدرا لينهل منه آلياته الاجرائية و أدواته التي تُعدّ وسيلة لاكتشاف العمل الأدبي كموضوع للبحث .

ان معالجة هذا الموضوع أصبح أمر ضروري للغاية نتيجة للوضع الذي وصل اليه البحث العلمي في ظل هذه الفوضى المصطلحية التي باتت مشكلة عويصة تعترض سبيل الباحث العربي؛ لكون كل علم له موضوع، ومنهج ومصطلحات كلغة بحثية متخصصة ينتهجها وفقا لمنهجه، و يُحمّلها خصوصيته، ومنهجه ومعرفته ولهذا تركز بحثنا حول أهم شخصية نقدية عربية لا غيرها وهو الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض.

ان طبيعة الموضوع حتمت على البحث أن يكون بهذه الهيكلية، اذ تم التطرق لمفهوم الترجمة و المصطلح، و السيميائية، كذلك التطرق إلى الفوضى المصطلحية التي يعاني منها النقد العربي، و كيفية تأصيل وتوظيف المصطلح السيميائي عند عبد المالك مرتاض .

1. مفاهيم المصطلح النقدي واشكالاته :

مصطلح أم اصطلاح:

ان تحديد المصطلح وضبط المفهوم من أهم الرهانات التي تواجهها مختلف الدراسات الأدبية والنقدية، بسبب الكم الهائل من المصطلحات المترجمة، مما أحدث أزمة حادة انبثقت عنها مشكلة على مستوى المفهوم، الذي أدى بدوره الى صعوبة تطوير المصطلح و فصله عن غيره مما يقترب منه، أو يتداخل معه في الصفة والمجال، و الالفت للانتباه أن هذه المشكلة ليست حكرًا على لغتنا بل تتعداها الى كل لغات العالم بسبب طبيعة دلالتها التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق الزماني والمكاني، والذي تتأثر به مباشرة كونه متغير ومتجدد اذاً "فالمصطلح عندما نريد تحديد مشكلته نجده لا يقتصر على لغة الدلالة العربية فقط وإنما يشتمل كل لغات العالم لكون المصطلح دائم التطور، ومتغير عبر الزمان والمكان، ولأهمية المصطلح في تفعيل المعرفة فكان الهدف من ترجمته هو التأكيد على وحدة اللغة العربية، ولما كانت المصطلحات مفاتيح العلوم، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي حقائقها المعرفية، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه"⁽¹⁾، و خلاصة هذا الكلام "أن المصطلحات خلاصة العلوم، رحاق المعارف ورحيقها المختوم، هي أبجدية التواصل المعرفي و مفاتيحه الأولى"⁽²⁾.

وفي ظل هذه التحديات الهامة حول المصطلح، والتي حاولت تعريفه وحصره في مجاله اذ عرّفه معجم مقاييس اللغة على أنه : "ينحدر من الجذر اللغوي صلح "صلاحا وصلوحا : زال عنه الفساد وأصلح الشيء أزال فساده وأصلح بينهما (...): زال ما بينهما من عداوة وشقاق. (أصلح) القوم: زال ما بينهم من خلاف، وأصلحوها على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا، تصالحوها: أصلحوها الاصطلاح: مصدر اصطلاح . والاصطلاح اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته"⁽³⁾. فاصطلح جاء على صيغة الفعل المضارع (افتعل) ما يعني أن أصله هو اصتلح ، وتاء (افتعل) في اللغة العربية عندما تقع بعد صاد أو طاء أو ضاء، تُقلب طاء مثل (اصطبر) "اضطرب"⁽⁴⁾

- أما لسان العرب لابن منظور قال في تعريفه: "صلح : الصلاح ضد الفساد ، صلح .صلاحا ...والصلح: السلم . وقد اصطلحوها واصلحوها، واصلحوها، واصلحوها ، واصلحوها ، مشدودة الصاد .قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد"⁽⁵⁾.

من هذه التعريفات اللغوية نفهم أن المصطلح هو: كلمة تعني الصلاح و عكس الفساد وهو الاتفاق، وعدم الاختلاف ما بين الناس، وبالتالي فالمصطلحات هي وسيلة هامة للنشر المعرفة و الحد من الخلاف، وتسهيل

التّواصل، ولذا كان من الضّروري أن يكون المصطلح مضبوط، و دقيق حتى يحقق لنفسه التميّز ويحفظ لنفسه الصّرامة والخصوصية، وحتى لا يُرشَح في مصاف الكلمات العادية.

وإذا ما أردنا تطبيق هذا على مصطلح السيمياء، أو اصطلاح السيمياء كونه أقرب الى المعنى "وهذا يحمل على التّفكير أنّه لا وجود لأي مصطلح مالم يكن هناك اصطلاح أصيل في اللغة التي ينتمي اليها المصطلح"⁽⁶⁾ ولكن المشكلة الحقيقية في موضوع المصطلح ليست العجز عن صياغته، ففي اللّغة العربية امكانيات واسعة كونها لغة اشتقاقية ثرية ولكن المشكلة الحقيقية هي الاعتراف العربي بالمصطلح، لأن شرط المصطلح أن يكون واحد، وأن يكون مُجمّعا عليه؛ فهو كاسم العلم، فلا يحمل الانسان أكثر من اسم رسمي يتعامل به"⁽⁷⁾، وحتى ندقق أكثر بين لفظة المصطلح والاصطلاح نقول أن لفظة المصطلح لم ترد في الكتب اللّغوية القديمة، اذ سبقتها لفظة اصطلاح الى الوجود. والاصطلاح: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول، واخراج اللّفظ من معنى لغوي الى آخر بمناسبة بينهما.... وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"⁽⁸⁾ وهكذا نفهم أن: "الاصطلاح يعني ما تواضع عليه النّاس وهذا يوضّح حسب يحيى عبد الرؤوف أن القوم كانوا على اصطلاح وليس على مصطلح"⁽⁹⁾ اذا المعنى المصدري للاصطلاح يعني الاتفاق والمواصفة، ونقصد في استعمالنا للكلمة (مصطلح) المعنى الاسمي، وهكذا فإننا نسعى الى المزاوجة بين الاستعمالين (مصطلح واصطلاح).

ولما كان مفهوم المصطلح لفظ تواضع عليه المختصون بقصد أدائه معنى واضح ودقيق حتى لا يخلق لبس في ذهن القارئ لسياق النّص العلمي"⁽¹⁰⁾، ولأهمية المصطلح لابد من إلقاء نظرة خفيفة على أصوله الأولى.

أصول المصطلح :

"مما لاشك فيه أن المصطلح النّقدي نشأ عربيا، وما ان بدأ الاتصال الفعلي بترائيات الأمم و الشعوب كالفرس، و اليونان و الهند والرومان حتى تسربت هذه المصطلحات الفكرية والفلسفية الى النّقد العربي خصوصا، و الأدب العربي عامة، وذلك دليل على مدى التّلاقح الفكري، و أكبر دليل على ذلك تلك المصطلحات التي عُرفت في العلوم العقلية والنّقلية و الدّخيلة جميعا"⁽¹¹⁾ ويؤكد الجاحظ هذا بقوله: "هم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام تلك الاسماء وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب باسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف، وقُدوة لكل تابع"⁽¹²⁾، ولأهمية المصطلح في البحث العلمي ومكانته كان من الضّروري اللّجوء الى ضبطه وتبسيطه حتى يسهل نشر البحوث، و الاستفادة من زخمها العلمي، و قال في ذلك محمود فهمي حجازي: "المصطلح العلمي على أنه ينبغي أن يكون: "لفظا أو تركيبا وأن لا يكون عبارة طويلة تصف الشيء وتوحي به وليس من الضّروري أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذي يدل عليه فالمصطلح يحمل صفة واحدة على الأقل من صفات هذا المفهوم وليس من الممكن أن يحمل المصطلح من البداية كل الصفات ويمضي الوقت يتضاءل الأصل اللغوي لتصبح الدّلالة العرفية الاصطلاحية دلالة مباشرة عن المفهوم كله"⁽¹³⁾.

. آليات صياغة المصطلح النقدي عند عبد المالك مرتاض:

ان صياغة المصطلح النقدي كما تصاغ المصطلحات الأخرى بعدة طرق متباينة، و قد اعتمد مرتاض على معظم الطرق المعروفة في صياغة المصطلح النقدي كالتعريب والنحت والاحياء والاشتقاق، والترجمة هذه الأخيرة اذ يتم من خلالها نقل المصطلح الى اللغة العربية بالمعنى لا باللفظ وتنتهج ترجمة المصطلح الأجنبي الى اللغة العربية طريقتين اما الترجمة الحرفية، واما الترجمة بالمعنى، وقد زواج المترجمون بين الطريقتين في نقلهم للمصطلح الأجنبي الى اللغة العربية، ولكن مع المحافظة على المعنى الأصلي للنص، والحرص الشديد على مراعاة قواعد اللغة المترجم منها واليها، ولهذا عُدَّت الترجمة السبيل الوحيد المخلص من هاجس الغموض الذي يكتنف النصوص، ولأن الباحث الأكاديمي ليس من صالحه أن يكتب بلغة غامضة، حتى لا يُعتمَ الرؤية أمام المتلقي، ويحول دون تحقيق هدف استيعاب ما يكتبه، وقد ورد مصطلح الترجمة في لسان العرب كما يلي: "ترجمة من رجم و التَّرجمان و التَّرجان: المفسر وقد ترجمه و ترجم عنه وهو من المثل الذي لم يذكره سيبويه: قال ابن جني: أما التَّرجمان فقد حكيت فيه ترجمان بضم أوله....يقال قد ترجم إذا فسر بلسان آخر ومنه التَّرجمان والجمع التَّراجم"⁽¹⁴⁾، فالترجمة تتولى عملية التفسير، و التوضيح لما يقوله و يكتبه الآخر، ولكن في السياق الذي ورد فيه الكلام من أجل استيعاب مختلف المعارف الوافدة دون عناء، وما دام للترجمة أسس تقوم عليها ما على المترجم الا ضرورة التقيد بها مثلا كمراعاة (معرفته بالموضوع)، و الثقافة التي نشأ فيها المصطلح الذي سينقله حتى يصل الى فكر وأسماع المتلقين بالفهم الصحيح، وحتى تُحفظ سلامة اللغة العربية كونها لغة القرآن، فلا بد من الحذر عند وضع المصطلحات الدالة على التصورات، والمفاهيم مع ايرادها في حلة ذات طابع عربي سلس يتوافق حسب الذوق، ويعتمد في الأصل على القواعد العربية، و علومها حتى لا تُصاب العربية بشتات التفسير.

و النقد العربي الحديث لم يكن في عزلة عن مستجدات الساحة النقدية، و لهذا قد تعرض للتبني الكثير من المناهج الدخيلة نتيجة الاحتكاك بالغرب، وما انبثق عنه من ترجمة وثقافة، ومن بين هذه المناهج المنهج

(البنوي و التفكيكي و السيميائي) وعُدَّ هذا الأخير كمصطلح نقدي حظى باهتمام كبير، وسببه أن السيميائية ظهرت كموضة لفتت انتباه الباحثين لتبنيها والدعوة اليها، وتطبيقها على الأعمال و النصوص العربية، اذ شرع العمل الحثيث في ترجمة مصطلح السيميائي و سلك كل مترجم طريقة، وأسلوباً معتمدين على خبراتهم الشخصية، وقد رافقتهم المصطلحية في الترجمة لتحقيق هدفهم مما أدى الى وجود كم هائل من المصطلحات المتباينة التي وصلت حد التناقض مما أحدث فوضى مصطلحية كبيرة جدا لدى الباحثين، ولُبس لدى المتلقين فيما يتلقونه " فسادت الفوضى والتعقيد مما جعل الضرورة ملحة في الاهتمام بهذا الموضوع لنلج من خلاله الى هذا العالم حتى نكتشف كيفية تأصيل هذا المصطلح السيميائي وتوظيفه عند عبد المالك مرتاض؟؟".

ان الوطن العربي في العصر الحديث لم يُعنى بالمصطلح إلا في بداية السبعينيات في المغرب اذ غلب على النقد الأدبي الطابع الفني التأثري، و كان جل الاهتمام مُنصب على مشكلات (العامية و الفصحى)، و(الجديد والقديم)، فبدى واضحاً أن المصطلح في المغرب كان مهمش للغاية، و ذلك من ناحية علاقته مع الثقافة، و تمثل المناهج النقدية الحديثة، وذلك راجع لعدم تركيز المغاربة على التراث النقدي العربي.

أما النقد الأدبي في الجزائر فقد التفت الى المنهجية الحديثة، وعلى وجه الخصوص (السيمائية) في الثمانينات، و أدغمت مصطلحات السيميائية بالعلامة لدى كل من رشيد بن مالك، و عبد الحميد بورايو، و عبد المالك مرتاض هذا الأخير الذي عمل على تعزيز المصطلح النقدي في تلك المناهج الحديثة مزاج بين القديم والحديث من أجل عطاء نقدي أصيل ذي خصوصيات لها جذور في التاريخ، ولها امتداد في أعماق الحداثة، وهو ما أعطى لدراسته سمة مُميزة تكشف عن مدى استيعابه للنظريات النقدية الحديثة، و إلمامه بالتراث العربي، لذلك نجده في أغلب دراساته الحديثة يميل الى التركيب المنهجي .

أصول المصطلح السيميائي عند عبد المالك مرتاض وكيفية توظيفه:

ان اختلاف أصول المصطلحات سواء كانت فرنسية أو انجليزية و اسبانية ...، أو ما يتعلق بالفكر العربي مختلف مشاربه وروافده التي يتغذى منها، أو الى الدارس نفسه الذي يتحلى بثقافة يكتسبها والتي يكون لها الدور الكبير في انتاج المصطلح لذلك: "تزداد يوماً بعد يوم الأهمية المعرفية للمصطلح بوصفه بنية سيميائية ودلالية و تداولية مشتركة بين الثقافات واللغات المختلفة، ومادام المصطلح يمتلك حداً سيميائياً ودالياً واضحاً في لغته الأصلية، فإنه يتحول عند ترجمته الى لغات أخرى الى لغة تفاهم مشتركة بين الثقافات والشعوب" (15) ، و لهذا فمرتاض قبل ولوجه للمصطلح السيميائية رجع الى نقطة مهمة وهي ضرورة التأصيل اللغوي للمصطلح اذ انطلق فيه من لفظة (السمة) قائلاً: "إن أصل السمة في اللغة العربية آت من الـ (س م) وليس من التـ (س و م) ويختار مرتاض مقابلة مصطلح سمة (Sine) هو من أصل لاتيني (Signum) وهو مساوي (للعلامة) و الأمانة .

- وهو في أصله مصطلح عربي، وقد قال فيه ابن منظور "باسم (سيما) و (السومة).

- أما مفهوم العلامة عند ابن الأعرابي: "السيم: العلامات و الخيل المسومة، أي المُعلّمة ، و السوما بمعنى العلامة التي يعرف بها الخير والشر" (16) ولهذا السبب انبثق مصطلح (سمة) في واجهة المصطلحات النقدية السيميائية التي اهتم بها عبد المالك مرتاض، وقد حددها وفق نقطتين أساسيتين هما التراث والنظريات الحديثة:

التـــراث: اذ ينطلق في أن السمة هي النقطة المركز لأي سيميائية بعينها ، و ذلك لثقته أن المصطلح ذو أصل عربي؛ لأن العرب منذ القديم قوم يحكمه أسلوب الاشارة، ويظهر ذلك جليا في ممارساتهم اليومية، وفي الطقوس الدينية: "وقد أشار كذلك لمصطلح العلامة الذي هو من مادة (ع ل م) ويعتبر قريبا من مادة (وس م) دون أن يطابقه، ولعله يكون آتيا من العلامة والعلم بمعنى الجبل"⁽¹⁷⁾ أن العلامة تنصرف الى معنى قريب من مادة وسم لكن غير متداول الاستعمال عند العرب.

ودعم رأيه بما قاله الجاحظ: "كما يذهب الى ذلك أبو عثمان الجاحظ منذ زهاء اثني عشر قرنا يكون (باليد والرأس وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد شخصان وبالثوب وبالسيف"⁽¹⁸⁾، وهذا يدل على أن مرتاض متأصل في التراث العربي، فهو قبل أن يستلهم النقد الغربي يعود أولا الى تراثه العربي، وحتى نؤكد أكثر مدى عراقية مرتاض في التراث العربي أشار الى المجهودات الحثيثة التي أقامها الجاحظ، و الذي سبق زمانه متنبئا بأنواع التبليغ السيميائي في كتابه الحيوان قائلا: "الله جعل اللفظ للسامع وجعل الاشارة للناظر واشرك الناظر واللامس في معرفة العقد الا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على قدر اللامس وجعل الخط دليلا على ما غاب من جوانحه عنه وسببا موصولا بينه وبين أعوانه (...) ولم يجعل للشام والدائق نصيبا"⁽¹⁹⁾ وهذا يدل على أن مرتاض يأخذ من التراث والحداثة موازنا بين الفكر العربي، والفكر الغربي ليتخذ بفكرته النهائية موقعا وسطا.

ولما أراد السيميائيون العرب وضع مقابل عربي ملائم للمصطلح الأجنبي (Signe) التبس عليهم الأمر؛ وذلك لتعدد المصطلحات اذ فضل البعض لفظة "العلامة" و آخرون تحيزوا للفظ السمة، وطائفة أخرى للفظ "الدليل"، و المقام هنا لا يتسع للذكر جميع المصطلحات الواردة، كذلك وجود المصطلح الأجنبي الذي ظهر وفُسر هو الآخر بمعنى العلامة وهو *marque* الذي زاد الأمر تعقيدا أمام توظيف المصطلحين السابقين، وخلق هذا الأخير لبس أمام القارئ في التفريق بين المصطلحين، وهذا هو السبب الجوهرى الذي جعل مرتاض يختار لفظة "السمة" مقابلا للمصطلح الأجنبي (Signe) قائلا: "نحن نؤثر اصطناع مصطلح "السمة" لطائفة من الأسباب"⁽²⁰⁾ وهي كالاتي :

1) الفكر العربي النحوي القديم قد استعمل العلامة ولكنها على ما يبدو استعملت بمعنى لاحقة تلحق فعلا من الأفعال، أو اسما من الأسماء فيستحيل من حال الى حال أخرى، ولعل اصطناع هذا المصطلح النحوي في أصله في المفاهيم السيميائية في عصرنا الحالي قد يسهم في تشديد الاضطراب، و التعقيد الذي يفرضه بالبحث في هوة سحيقة .

2) يبدو من باب الحاسة الذوقية ان استقبال المعنى المنبثق عن اصطناع "السمة" أنه أدنى ما يكون الى ما يطلق عليه السيميائيون الغربيون مصطلح Sign من مصطلح العلامة الذي كان أقرب الى المعنى المادي فتمخض عنه".

ان مقابلة مفهوم "السمة" للمفهوم Signe عوضا عن مصطلح العلامة قد يحل لنا مشكلة من مشكلات المصطلح، وهي أننا حينئذ نمحض مصطلح العلامة لمفهوم آخر قريب منه وهو *marque* وقد صادفتنا هذه

المشكلة لدى ترجمة بحث عن الأصول السيميائية في فكر ش.س. بيرس، حيث اصطدنا بمصطلحين اثنين مختلفين في الحقيقة في الاستعمال الغربي و هما *Le signe* و *La marque* في موقف واحد⁽²¹⁾

ولما كان تأثر عبد المالك مرتاض بالفكر الفلسفي للبيرس، أثر على نفسه أن يظهر ذلك من خلال اشارته للعلاقات الثلاثية الأطراف، وكذلك بعض المفاهيم البرسية، ومثال ذلك حديثه المستمر عن السمة الوصفية *Quali.Signe* والسمة العرفية المفردة *Sinsigne* و الثالثة السمة العرفية *Legisigne*⁽²²⁾ ومع اختلاف الترجمات للمصطلح *Signe* الا أنه عُد المصطلح المركزي الذي يوحّد بين الدال والمدلول، ولما كانت أسباب مرتاض قريبة من المنطق والتبني و يمكن أن تكون لفظة سمة مقابلا للمصطلح *Signe* ولكن هذا الطرح للمرتاض عرّضه للنقد من قبل بعض الباحثين العرب منهم عبد الجليل مرتاض الذي قال أن "العلامة هي المصطلح الأعم الذي يشمل كل المفاهيم باعتبارها علامات خصوصية ان كلا منهما مشروط بقريضة تلازمه فالامارة قرينتها الظهور والدلالة اللفظية .

والدليل قرينته الدلالة على البرهان والدلالة على العلاقة اليقينية

والسمة قرينتها أنها أثر ظاهر للعلاقة بين دالها ومدلولها سببية⁽²³⁾

اذا وفي هذا المقام فان مصطلح العلامة هو الأشمل والأعم لأنه غير مشروط بأي خصوصية، ومن ثمة تكتسب الشرعية المعرفية لأن تكون بديلا مقابلا للمصطلح الأجنبي *Signe* بمعناه العام.

كما يرى مرتاض أن هناك فروقا بين مصطلحي *Sèmiotique* و *Sèmiologie* و أوجه اختلاف و تشابه بينهما الأمر الذي لم ينتبه له كثير من النقاد ، وقد حصرها بوخاتم في نقاط ست هي كالاتي :

1— كلاهما يبتدئ بالسابقة SEMIO وهو آت من اللغة الاغريقية SEMION ونعني السمة SIGNE ثم يفرقان في كون أحدهما ينتهي باللاحقة LOGIE التي أصلها LOGOS وتعني الخطاب، على حين أن الآخر ينتهي بالمقطع TIQUE الذي يعني النسبة الديالكتيكية.

2. إنهما اسمان بُنيا على أصل الوضع الاغريقي لمسمى واحد فيه تسوية مفهومية ذهب اليها غريماس حين سألته جريدة العالم الباريسية عام أربع و سبعين من القرن العشرين.

3. كأن السيميوتيك تعالج خصوصيات الحقل وهي بمثابة اللغة عن اللسان أو الفرع من الأصل.

4. ترتبط السيميوتيك أساسا بالثقافة الأنجلوسكسونية (لوك. بورس خصوصا).

5. إن مصطلح السيميوتيك أقدم وجودا، وأغرق ميلادا (1555م) من مصطلح السميولوجيا الذي لم يتداوله دي سوسير إلا زهاء سنة 1910م.

6. أن مفهوم السيميولوجيا يرتبط أساسا بعلم اللغة باللسانيات، بينما يرتبط مفهوم السيميوتيكيا بالفلسفة و المنطق⁽²⁴⁾.

نلاحظ أن عبد المالك مرتاض في بداية مشواره النقدي كان يتحيز للمصطلح السيميوتيكية؛ و الذي ظهر في العديد من مؤلفاته النقدية مثل كتاب (النص الأدبي من أين وإلى أين) "لقد نعلم أن السيميوتيكية SEMIOTIQUE أو العلامة كما يطلق عليها عبد السلام المسدي هي علم نظم الاشارات و نحن نفضل الاشارة على العلامة لأن بعض القدامى من العرب اصطنعوا هذا المفهوم الألسني لهذا المعنى أو لمعنى قريب منه"⁽²⁵⁾ و يقول في موضع آخر من الكتاب: "ان النظرية المعاصرة لنظم الاشارات أي (السيميوتيكية) تمتلك مفهوما ناضجا كل النضج للتبليغ"⁽²⁶⁾.

فندستشف من هذا أن مرتاض بدأ باستعمال مصطلح السيميوتيكية كمقابل للمصطلح الأجنبي La Sémiotique فأردفه بمقابلة مصطلح نظم الاشارات، كما أخذ على عاتقه تفصيل مصطلح الاشارة بالعلامة، و ذلك ليس بسبب خطأ ابستمولوجي أو اصطلاحي في مصطلح العلامة بل مصطلح الاشارة قد وجد في النقد العربي، وبهذا فهي أقرب الى التراث، ولكن عبد المالك مرتاض بعد فترة من الزمن قد أعرض عن مصطلح السيميوتيكية و عرج على مصطلح السيميائية و كل مشتقاتها سيميائيون . سيميائي... وتبين هذا في كتابه المعنون ب "أ" "ي" "دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلالي" ويعد هذا الكتاب هو التالي للكتاب "النص الأدبي من أين وإلى أين"، ولكن مرتاض مرة ثانية لا يستقر حاله على مصطلح السيميائية فيعوضه بمصطلح السيميائية، و ظهر ذلك جليا في مجموعة من كتبه في نظرية الرواية، 1998 التحليل السيميائي للخطاب الشعري 2001، وكذلك كتابه نظرية النص الأدبي 2007 يستعمل مرتاض مصطلح سيميائية ومشتقاتها"⁽²⁷⁾.

نستنتج أن مرتاض قد أعرض عن مصطلح السيميوتيكية الى الترجمة السيميائية و لكن مع ترجمة ما يوافق النطق العربي الأصيل للسيميائية.

— واذا ما أردنا أن نتبع كيفية توظيف مرتاض للمصطلح السيميائية كمنهج اجرائي سنبدأ بتحليله السردى لحكاية "جمال بغداد" ألف ليلة وليلة وهي تجسد دخول مرتاض الى مرحلة أكثر تأسيسا لإرسال معالم الدرس السيميائي، ويقول مشيرا الى منهجه السيميائي: "فلتكن هذه محاولة مُمنهجة للدراسة التراث العربي، ولكن قبل كل شيء مدرجة لإثارة السؤال ومسلكه لاستضرام الجدل ولتكن أيضا دعوة للتجديد، ولكن بعيدا عن فخ التقليد الذي ابتلينا به في هذه النظريات التي نقرؤها مترجمة"⁽²⁸⁾، وفي كتابه المعنون ب "أ" "ي" دراسة سيميائية أين ليلالي لمحمد العيد" وقد أشار فيه بوضوح الى "ذلك الاجراء التطبيقي للمنهج السيميائي اذ يُعد كتاب في غاية الأهمية، وهو اللبنة الأساسية في المشروع النقدي مترنحا بين كفتي اللسانيات و السيميائيات، ولكن المُطالع على هذا الكتاب يجد تذبذب في عُدته المنهجية رغم تبنيهِ للملاح السيميائية بالنظر الى عنوان الكتاب.

كذلك نشير الى قراءة منهجية في تجربة السياب في كتابه التحليل السيميائي للخطاب الشعري " معالجة مستويات قصيدة شناشيل ابنة الحلبي الصادر عن أكاديمية الشعر في أبو ظبي عام 2016 اذ من خلال هذا الكتاب يكمل مرتاض دراسته القرائية لعيون الشعر العربي وفق منهجية سيميائية غالبا ماتستبطن رؤية تحليلية جديدة غير مأهولة سابقا في المشهد النقدي العربي المعاصر مبني حيث عمقها الذي تظهر به؛ ولكن في هذا الكتاب توجد تغيرات اذ مرتاض في هذه الدراسة لا ينسج الى تبيئة المفاهيم كما هي دون مقاربتها بروح عربية جديدة ، وتلك مهمة الناقد العربي الأصل المطالب بتجديد المفاهيم النقدية حسب متطلبات الموروث النقدي والعربي ، وهذا الكتاب يستحق أكثر من قراءة كونه يمثل وقفة جديدة في النقد العربي.

أما كتابه ألف ليلة وليلة — تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد فيوضح في هذا الكتاب أن مرتاض تجاوز المنهج السيميائي معتمدا على منهج جديد قائلا : "أولى لنا أن نشدد منهجا شموليا تكون به القدرة على استكناه دقائق النص، و استكشاف كوامنه و يعرف مكانه، دون أن نقع لا في فخ البنيويين الرافضين للإنسان والتاريخ ... والاجتماعيون الذين يعللون تفسير سلوكات المبدع من خلال تفسير الابداع" وهنا يرى مرتاض ضرورة الالتزام ب التوفيق في البحث بين التراث و النظريات اللسانية التي ينبثق عنها الاجراء السيميائي .

وحتى نمشي بخطى ثابتة نحو البحث العلمي السليم لابد من الاعتماد على التراث كعدة أساسية والأخذ من الحداثة حتى يواكب البحث تلك المستجدات النقدية.

- ومن خلال هذا الطرح نستخلص أن الناقد العربي عبد المالك مرتاض في نظريته للمصطلح السيميائي وكمنهج اجرائي في تحليل الخطاب الأدبي من خلال البحث العلمي يرى:

* ضرورة ربط الحداثي المعاصر بالقديم التراثي قبل الولوج للمفهوم المصطلح، و أن السيميائي كمنهج اجرائي ليست بالشيء الجديد في الساحة النقدية بل العرب اهتموا الى هذا منذ القدم ويقول في هذا "من المكابرة الزعم بأن المعاصرين اليوم ، وحدهم هم الذين اهتموا السبيل الى اشكالية القراءة السيميائية بكل انجازاتها اللسانية وبتعدد حقول تأويلاتها المستكشفة ، والتي ليس لإفادتها حدود⁽²⁹⁾

* مرتاض تجاوز أزمة الفوضى المصطلحية بل كان جل اهتمامه هو كيفية توظيف مصطلح السيميائية كمنهج اجرائي معتمدا على التركيب المنهجي المفتوح و المنتشر في الخطاب النقدي العربي.

* كما كان يعتمد أكثر على تعددية القراءة و تجددتها من أجل اخصاب القراءة السيميائية حتى يغذي النص بتفتيق عبقریات القارئ، وفي هذه النقطة بالذات مزج مرتاض بين تراثنا النقدي اللغوي والبلاغي، وبين السيميوطيقا في مقارباته لربط التراثي بالحداثي وفق حوارية معمقة بين منجزات تراثنا البلاغي العربي القديم، وبين ما توصل اليه النقد الغربي من آليات واجراءات، وتصورات، ليؤكد أن الأدب العربي من الآداب العالمية الكبرى، ومن الصعوبة تناول وتبني مفهوم جديد وحدائي دون أن نجد له جذور متأصلة في تراثنا النقدي وهذا ما يؤكد أن مرتاض لا يزال ناقدا عربي المنهج ، عربي الطريقة حدائي المادة تراثي الروح⁽³⁰⁾ .

* كذلك لاحظنا ان تعدد المقابلات للمصطلح الأجنبي نفسه مثير للانتباه أكثر اختلاف في المصطلح المقابل ل Sèmiologie عند الناقد نفسه فمرتاض نجد عنده التعدد المصطلحي (سيمائيات، السيميوتيك، السيميوتيكية، الاشارية)

* مرتاض هو الناقد الحدائي المحافظ الذي جعل مساره النقدي الحافل بالمجهودات المنهجية اذ من خلال هذا استطاع أن يبني مدرسة نقدية عربية منطلقها التراث ومنتهاها الحداثة.

* مرتاض يعتبر أكثر النقاد اهتماما بالمصطلح والمنهج ولاسيما السيميائية .

* قصور المنهج النقدي الواحد عن استيعاب الابداع العربي .

* هيمنة المناهج النقدية الغربية على النقد العربي اذ أصبح الناقد العربي يبحث فيما عما يستجيب للنص ويفك المعاني والدلالات المبطنة .

* مرتاض استطاع من خلال مسيرته النقدية تطوير الممارسة النقدية بداية من المناهج النقدية.

الهوامش :

— عبد السلام المسدي: أصل المصطلح بين المشرق و المغرب مقالة في مجلة العربي ج2، وزارة الاعلام، ط1، الكويت ، 2006 م، ص9¹

يوسف وغليسي : اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1 الجزائر ، ، ص11²

ابن فارس: المعجم الوسيط، مطابع الأوغست شركة الاعلانات الشرقية، ط3، 1985 م ، ص539³

ينظر: يوسف غليسي: اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص114

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مج2، دار صادر، ط1، بيروت ، 1997 م، ص8⁵

— ينظر عبد الجليل مرتاض :اصطلاح المصطلح في اللغة العربية ، مقالة في مجلة المصطلح، ع1 مخبر تحليلية احصائية في العلوم الانسانية 2002، ص12.⁶

— محي الدين صابر : التعريب و المصطلح: مقالة في مجلة اللسان العربي ع28، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم مكتب تنسيق التعريب، القاهرة، 1987 م، ص13⁷

علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات، تح(ابراهيم الأنباري) دار الكتاب العربي، بيروت 2002 م، ص30⁸

ينظر: يحي عبد الرؤوف جبر: الاصطلاح مصادره و مشاكله و طرق توليده، مجلة اللسان العربي، ع36، ص143⁹

- محسن عقون : واقع الترجمة في العلوم الاسانية و الاجتماعية ، مقالة في مجلة أهمية الترجمة و شروط احيائها ، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2004 م، ص70¹⁰

محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار المشرق العربي، بيروت - لبنان ، ص61¹¹

— أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، (تح) عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، ط7، القاهرة، 1998 م، ص139¹²

- محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب ، ط1، القاهرة، ، 1999 م، ص 15¹³
- ابن منظور: لسان العرب، مج2، بيروت- لبنان 1980م ص 227، ¹⁴
- محمد بلقاسم: المصطلح النقدي الأدبي المعاصر الاشكالية والتطبيق – مجلة الناص ، ع4 – 5 أفريل – جويلية 2005 م جامعة جيجل، الجزائر ص83 ¹⁵
- ابن منظور: لسان العرب: مادة (سوم) ¹⁶
- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي ص147، نقلا عن الجوهري: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة، 1956 م، مادة(وسم) ¹⁷
- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي ، ص 147¹⁸
- الجاحظ : الحيوان ، ج1 ص45، 46¹⁹
- عبد المالك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص 149²⁰، 148
- عبد المالك مرتاض: اشكالية المصطلح في اللسانيات و السيميائيات مقالة في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية ع1/السنة الاولى ، ص 34²¹
- مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ط1 ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2005، ص 123²²
- عبد الجليل مرتاض اصطلاح المصطلح في اللغة العربية، مقالة في مجلة المصطلح ع/1، مخبر تحليلية احصائية في العلوم الانسانية 2002، ص 18²³
- المرجع نفسه : ص 127.128 ²⁴
- عبد المالك مرتاض: النص الأدبي (من أين وإلى أين)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983 ، ص 21²⁵
- المرجع نفسه، ص ن²⁶
- عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ص 60، 70 ²⁷
- عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة: تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية جمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993، ص 8²⁸
- عبد المالك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري ، ص 7²⁹
- يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد المالك مرتاض ، ص 8³⁰